العرب
الأربعاء 2019/09/11
السنة 42 العدد 11464

لماذا لم يخسر لبنان أرضا في 1967...

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

هل تعلّم اللبنانيون شيئا من أحداث حرب العام 1967، التي أسست لحربهم الأهلية ولحروب الآخرين على أرض لبنان ومما سبقها ومما تلاها؟

ليس ما يشير إلى أنّهم تعلموا شيئا، بما في ذلك أخذ العلم بأنّ العرب رموا كل هزيمتهم على لبنان كي يتحمل وزرها وكي يهربوا منها. انتهى لبنان إلى إجباره على توقيع اتفاق القاهرة في تشرين الثاني – نوفمبر من العام 1969 كي يتبرّأ العرب من الهزيمة. لو كان جمال عبدالناصر فهم فعلا معنى الهزيمة التي لحقت بمصر في العام 1967، هل كان قبل أن يوقّع لبنان اتفاق القاهرة؟

لا تزال مفاعيل الاتفاق تدوّي إلى اليوم لأنّ قائد الجيش الماروني إميل البستاني أراد أن يكون رئيسا للجمهورية... في وقت كان زعماء الموارنة الآخرون، باستثناء ريمون إدّه، يسعون، كلّ بدوره إلى أن يكون في موقع يسمح له بالوصول إلى قصر بعبدا.

ليس مطلوبا توقيع اتفاق سلام مع إسرائيل. الإجماع اللبناني والمحافظة على السلم الأهلي يظلّان أولوية لبنانية. لكنّ ذلك لا يمنع استخدام لغة المنطق والعقل والحكمة والعمل على حماية البلد في وقت يمرّ فيه بأسوأ أزمة اقتصادية في تاريخه

ليس من العدل إلصاق كلّ التهم بالعرب. يتحمّل اللبنانيون مسؤولية كبيرة عن قبول اتفاق القاهرة الذي يكشف ضعف أي ماروني لبناني أمام رئاسة الجمهورية. وحده ريمون إدّه بين الزعماء الموارنة تجرّأ في العام 1969 على رفض اتفاق القاهرة، لا لشيء سوى لأن رئاسة الجمهورية لم تكن تعني له شيئا إذا كان الثمن التخلي عن سيادة لبنان على جزء من أرضه لمصلحة "المقاومة" الفلسطينية التي لا تشبه حاليا إلا "المقاومة" التي يمارسها "حزب الله"، الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني، عناصره لبنانية.

يكمن جزء من مأساة لبنان في غياب أي منطق من أيّ نوع لدى سياسييه. لو كان هناك مثل هذا المنطق، لكان أي سياسي يحترم نفسه تجرّأ وقال إن لبنان استطاع المحافظة على أرضه لأنّه لم يشارك في حرب 1967 التي كانت حربا خاسرة سلفا. امتلك وقتذاك رئيس الجمهورية شارل حلو ما يكفي من الوعي. مكّنه ذلك من اتباع سياسة حكيمة حالت دون سقوط لبنان في الفخّ الذي سقطت فيه مصر وسوريا والأردن. لا تزال المنطقة تعيش إلى اليوم تداعيات حرب الأيّام الستة قبل ما يزيد على نصف قرن. لا تزال الأراضي العربية المحتلة في حرب 1967 محور أي عملية سلمية وهمية، وذلك على الرغم من أن مصر استطاعت استعادة كلّ ما فقدته في تلك الحرب. استطاعت ذلك بفضل أنور السادات الذي امتلك الجرأة ليقول إن لا عودة للأرض من دون مفاوضات مباشرة مع إسرائيل، في حين فضّل حافظ الأسد استمرار حال اللاحرب واللاسلم إلى ما لا نهاية من منطلق أنها تشكل أفضل حماية للنظام الذي أنشأه بعد السنة 1970. انتهى الأمر بأن ضمّت إسرائيل الجولان، فيما مستقبل سوريا الدولة الموحّدة على كفّ عفريت، خصوصا في ضوء الاتفاق الأميركي – التركي القاضي بإنشاء منطقة آمنة في الشمال السوري وتسيير دوريات مشتركة فيها.

أمّا الأردن، فهو فقد في العام 1974 الورقة الأساسية التي كان يمكن استخدامها لاستعادة الأرض المحتلة في 1967، أي الضفّة الغربية والقدس الشرقية. لم يوجد في العام 1974، لدى انعقاد قمّة الرباط من يقول إن القرار 242 لم يعد ينطبق على الضفّة الغربية والقدس الشرقية لمجرّد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني. في الواقع، لم تكن لا الضفّة ولا القدس تحت السلطة الفلسطينية في 1967 عند وقوع الاحتلال الإسرائيلي. كان الأردن في وضع قانوني أفضل لاستعادة الأرض تمهيدا لإعطائها إلى الفلسطينيين في حال وجدت صيغة لذلك. هذا ما كان مفترضا بالعرب أن يعوه وقتذاك، بدل تصفية حسابات مع الأردن الذي دافع عن نفسه في العام 1970 وحال دون قيام كيان فلسطيني في شرق الأردن. لم يكن هذا الكيان سوى خيار إسرائيلي لا أكثر استطاع الملك حسين قطع الطريق عليه.

من قرار صائب وحكيم مكّنه من حماية نفسه في 1967، انتقل لبنان فجأة إلى مرحلة الجنون والتهوّر التي تمثلت بقبول اتفاق القاهرة في ظلّ ضغوط مورست على شارل حلو في 1969. هل هناك عاقل في هذا العالم يعتقد أن في الإمكان تحرير فلسطين انطلاقا من لبنان؟

إذا كانت مصر التي خاضت سلسلة من الحروب مع إسرائيل لم تستطع، في نهاية المطاف، تحقيق انتصار عليها وذلك لأسباب مختلفة، بينها الموقف الأميركي المنحاز كلّيا للدولة العبرية، فما الذي يستطيعه لبنان؟

ليس مطلوبا توقيع اتفاق سلام مع إسرائيل. الإجماع اللبناني والمحافظة على السلم الأهلي يظلّان أولوية لبنانية. لكنّ ذلك لا يمنع استخدام لغة المنطق والعقل والحكمة والعمل على حماية البلد في وقت يمرّ فيه بأسوأ أزمة اقتصادية في تاريخه. فمثلما أنّ القرار الصائب اتخذ في 1967، هناك قرار صائب يمكن اتخاذه حاليا بعيدا عن المزايدات والكلام الفارغ والشعارات الطنانة. لا خيار آخر أمام لبنان سوى التمسّك بالقرار الرقم 1701 الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. حتّى لو خرقت إسرائيل القرار، لا مصلحة للبنان في أيّ خرق له، لا لشيء سوى لأن خيار الحرب ليس خياره ولا مصلحة له فيه. إن أيّ حرب ستعود عليه بالدمار وستزيد من مشاكله الداخلية ومن أزمته الاقتصادية في وقت ليس معروفا ما الذي ستؤول إليه الأوضاع في سوريا.

هل يوجد سياسيون لبنانيون قادرون على قول الحقيقة للمواطن وأن خلاصه يكون بوجود قرار واحد في البلد، وليس دويلة تابعة لإيران تتحكّم بقرار الدولة اللبنانية لأسباب مرتبطة بأجندة بـ"الجمهورية الإسلامية"؟

ثمّة حاجة إلى شجاعة سياسية هذه الأيّام. تفرض هذه الشجاعة طرح سؤال من نوع كيف يمكن الردّ على إسرائيل، انطلاقا من لبنان، بسبب غارة شنتها في سوريا وقتل فيها عنصران من "حزب الله"؟ الأهمّ من ذلك ما الخيار اللبناني البديل من القرار 1701 الذي أمّن ثلاثة عشر عاما من الهدوء في جنوب لبنان، وذلك للمرّة الأولى منذ ما يزيد على نصف قرن؟ ألا يحقّ لأهل الجنوب أن ينعموا بالهدوء وأن يعملوا على تطوير منطقتهم... أم عليهم العيش في كلّ وقت تحت رحمة عدوان إسرائيلي يأتي بالدمار ولا يفرّق بين مواطن وآخر وبين قرية وأخرى؟

من لديه أي وجهة نظر معترضة تدعو إلى خرق لبنان للقرار 1701 يستطيع العودة إلى العام 1967 وسؤال نفسه لماذا لم يخسر لبنان أرضا في الحرب التي شهدتها تلك السنة؟ الأكيد أن قلة تستطيع أن تطرح على نفسها مثل هذا النوع من الأسئلة ذات العلاقة بالمنطق والواقع اللذين يمكن أن يشكلا حماية للبنان لا أكثر ولا أقل...

مستقبل سوريا شبابها مثلما هي مستقبلهم

عبدالباسط سيدا
كاتب سوري

"الثورة فكرة، والفكرة لا تموت" شعار أبدعه مهندس إبداعات كفرنبل رائد فارس، يلخّص الواقع السوري، ويُلقي الضوء على ما سيكون في مستقبله.

هذا الشعار رفعه المتظاهرون السوريون في معبر باب الهوى على الحدود السورية–التركية، وذلك في وقفة رمزية أدانت ما تعرّض، ويتعرّض له، السوريون من قتل وتدمير وتشريد، نتيجة تقاطع مصالح الدول، سواء القريبة منها أم البعيدة، ومن دون إعطاء أي اعتبار لتطلّعات السوريين، ورغبتهم في حياة حرة كريمة في ظل حكم وطني مدني تعددي، يطمئن الجميع من دون أي استثناء.

لقد جاءت الوقفة الشبابية السورية في ظروف بالغة التعقيد تعيشها منطقة شمال غربي سوريا، وإدلب تحديدا، حيث تتحكّم جبهة النصرة بأسمائها الحركية المختلفة، وفصائل أخرى متشددة، بمفاصل المنطقة المجتمعية ومواردها الاقتصادية.

وبذريعة محاربة الإرهابيين، تقوم روسيا بالتعاون مع قوات النظام والميليشيات الإيرانية بقصف المنطقة، وتعمل بصورة مستمرة على قضمها تدريجيا. أما الهدف الحقيقي فهو إسكات صوت الثورة هناك، ودمج المنطقة مع غيرها من تلك الخاضعة لسيطرة النظام، أو بتعبير أدق لسيطرة الروس والإيرانيين.

غير أن الوقفة الشبابية المشار إليها، أتت لتؤكد فكرة أن الثورة السورية مستمرة بغض النظر عن الترتيبات التي ستعتمد نهائيا في منطقة إدلب وفق تفاهمات أطراف مسار أستانة، وهي ترتيبات ستراعي بالدرجة الأولى مصالح الدول، وعلى حساب تضحيات السوريين التي تستعصي على أي توصيف.

أما بالنسبة إلى الفصائل المسلحة المتشددة، أو بتعبير أدق قياداتها، فإنها ستشدّ الرحال على الأغلب إلى مناطق أخرى من العالم، تؤدي أدوارا جديدة بناء على توجيهات وأوامر الأجهزة الدولية المشرفة عليها، أو سينتهي بها المطاف إلى السجن أو القتل، إذا كان دورها قد انتهى، وذلك بعد أن أفرغت الثورة السورية من مضمونها، ومكّنت النظام من تطبيق استراتيجيته، وتسويق ضلالاته ومزاعمه التزييفية.

ولكن الشباب السوري الذي أصبحت الثورة جزءا عضويا من بنيته الكيانية، وباتت مفاهيمها من العناصر الأساسية في منظومته المفهومية، وبعد أن مرّ بتجارب قاسية لا حصر لها، وتعلّم الكثير، واطّلع بما فيه الكفاية على أفاعيل الفاسدين المتسلقين ضمن الثورة ذاتها، وبعد أن تيقّن من إجرامية النظام واكتسب خبرة كبيرة في ميدان العلاقة بين المصالح والمواقف السياسية الدولية، لن ينسى ما ألمّ بشعبه ووطنه ولن يقف عاجزا في مواجهة سلطة تستعد منذ الآن للانتقام من السوريين بعقلية ثأرية حاقدة، عقلية لا تنقذ وطنا ولا تؤسس دولة. والأسوأ من هذا وذاك، أنها لا تبذل أي مجهود من أجل ترميم النسيج المجتمعي الوطني، بل تمارس المزيد من النخر فيه، وتعمل على تفجيره من الداخل، ليتمكّن أصحابها، بمعية الآخرين ودعمهم، من التحكّم برقاب السوريين وأرزاقهم مجددا.

لقد بذل النظام الأسدي منذ استيلائه على الحكم في سوريا عام 1970 كل الجهود من أجل الهيمنة على الشباب السوري، ووضع في سبيل بلوغ أهدافه في هذا المجال خطة صارمة، استهدفت فرض تربية شبه عسكرية على الأجيال السورية الجديدة، لتكون مستقبلا مشلولة من جهة القدرة على التفكير والفعل في مواجهة السلطة، بل لتصبح رديفا لها وأداة من أدوات سيطرتها.

وهكذا تم تعديل البرامج الدراسية لتؤله القائد الملهم، الضرورة والرمز. وبدأ العمل عبر منظمة طلائع البعث ببرامج إخضاع الأطفال للتربية العقائدية الموالية، وأجبر اليافعون على الانتساب إلى منظمة شبيبة الثورة، وأُلزمت أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية رسميا بالابتعاد عن اتحاد الطلبة والجيش. وكانت المراكز الثقافية والبرامج الإعلامية، وسائر النشاطات والفعاليات الرياضية والفنية والثقافية تتمحور حول هدف أساس، ألا وهو إخضاع الشباب السوري لعمليات التدجين والترويض والتضليل، ليصبح مجرد كتلة بشرية، يتم التحكّم بها من قبل الأجهزة الأمنية المرتبطة بصورة مباشرة برأس النظام.

وهكذا اعتقد النظام أنه قد تمكّن من قهر إرادة السوريين وإلى الأبد، ونجح في التحكّم بهم، وتفتيتهم عبر السيطرة الأمنية على مفاصل الدولة والمجتمع. فالأجهزة الأمنية كانت تسيطر على الجيش، وتحكم الدولة والمجتمع عبر واجهة حزب البعث. أما الجبهة الوطنية التقدمية، فهي مجرد إطار لتقييد الأحزاب المنافسة، وعزلها عن وسطها الشعبي، مقابل إقناعها بفتات سلطوي لا يُذكر.

وخارج نطاق هذه الجبهة كانت توجد أحزاب ضعيفة مترهلة، تضم مجموعة من المتقاعدين. أما الأحزاب الكردية، فقد كانت تتمتع مقارنة مع غيرها، بالمزيد من الحيوية والقدرة على استيعاب الشباب، ولكنها بصورة عامة كانت أحزبا مطلبية، فهي لا تعمل من أجل تغيير نظام الحكم، وإنما تسعى من أجل تحقيق مطالب محدودة، وهذا أمر لم تكن السلطة ترى فيه خطرا وجوديا يهددها. لذلك كانت تغضّ النظر عنها بعض الشيء، وتقوم من حين إلى آخر بعمليات اعتقال لأعضائها، منعا من اتساع دائرة عملها ونفوذها، وتحسبا لأي تفاعل وطني ممنوع قد يحدث بين الأكراد والمكونات السورية الأخرى.

إلى جانب ذلك كانت الأجهزة الأمنية على اطلاع بما يجري في داخل معظم قيادات الأحزاب المعنية بفعل وسائل مختلفة.

ولكن مع انطلاقة موجة الربيع العربي، فوجئ النظام بتحرّك غير متوقع للشباب السوري من جميع المكونات السورية، شباب يطالب بالإصلاح والتغيير. فقد تمكن هؤلاء رغم كل الدعاية السلطوية التي خضعوا لها على مدى عقود، وكل التعتيم الإعلامي الذي فرض عليهم، من الوصول إلى خلاصة حاسمة مفادها أن لا مستقبل لهم يرتقي إلى مستوى إمكانياتهم وتطلعاتهم، طالما ظلّ نظام الاستبداد والفساد والإفساد على حاله. ولم تكن طلباتهم في بداية التحرك السوري الكبير تتجاوز نطاق المطالبة بضرورة التغيير نحو الأحسن، وذلك باعتماد جملة من الإصلاحات، كان أركان الحكم أنفسهم في ذلك الحين يرون ضرورتها. ولكن الذي حصل نعرفه جميعا ونتذكره جيدا. فعوضا عن أن يستمع الحاكم إلى الداخل الوطني، التزم بأوامر الراعي الخارجي، وهدفه من كل ذلك كان هو البقاء في السلطة وبأي ثمن.

جاءت الوقفة الشبابية السورية في ظروف بالغة التعقيد تعيشها منطقة شمال غربي سوريا، وإدلب تحديدا، حيث تتحكم جبهة النصرة بأسمائها الحركية المختلفة، وفصائل أخرى متشددة، بمفاصل المنطقة المجتمعية ومواردها الاقتصادية

والآن بعد مرور حوالي تسعة أعوام على انطلاقة الثورة السورية، يوهم النظام ورعاته وتوابعه أنفسهم بأنهم قد انتصروا على أشلاء السوريين، وأطلال مدنهم وبلداتهم وقراهم. وهم يتجاهلون وجود الملايين من الشباب السوري في الداخل والخارج ممن ألهمتهم الثورة، وزودتهم بمعارف وخبرات ومهارات، كانت ممنوعة عليهم سابقا. فهؤلاء لن يتمكن أحد من إخضاعهم وإرغامهم على العودة ثانية إلى حظيرة العبودية لآل الأسد وشركائهم، والمستفيدين من سلطتهم. ستتفجر طاقات سورية إبداعية لا حصر لها في الحقول كافة من فكرية ثقافية وفنية واجتماعية وسياسية وتنظيمية. سيكتشف الشباب السوري الأخطاء والثغرات التي كانت، وسيعمل على تلافيها، ليعود بإصرار أشد، وعزيمة أقوى، ويؤكد أن الثورة هي فكرة، والفكرة لا تموت.